

### روایات افضلیت امیرالمؤمنین (ع) و آیه مباهله

علامه شرف الدین به حدیث «علی مع الحق و الحق مع علی» بر افضلیت امیرالمؤمنین (ع) استناد می کنند. ایشان برای اعتبار احادیث از سه روش استفاده می کنند:

۱. قاعده کثرت روایات. این قاعده بیان می کند که اگر سند روایتی ضعیف باشد و ضعف آن به خاطر ارسال و تدلیس و مجهول بودن باشد، کثرت نقل آن روایت، ضعف آن را جبران می کند. سیوطی این قاعده را در «تدریب الراوی» و دیگران نیز در کتاب های خود آورده اند. حتی ناصر الدین آلبانی که یکی از وهابیون معاصر است و انتقادات زیادی به شیعه گرفته است، این قاعده را به عنوان یکی از قواعد پذیرفته شده در نزد عالمان اهل سنت می داند.

۲. ذکر شواهد. اگر یک روایت دارای شواهد باشد، این مساله نیز در جبران ضعف سند آن را می کند.

۳. تصریح عالمان اهل سنت بر صحت حدیث.

مرحوم شرف الدین به عنوان شاهد این روایت به حدیث ثقلین و آیه مباهله اشاره می کنند. در ادامه به بیان سخن ایشان در کتاب «کلمه الغراء» درباره آیه ولایت و دلالت آن می پردازیم:

«الفصل الاول:- فی آیه المباهله»:

و هی قوله عز من قائل: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» [۱].

أجمع أهل القبلة، حتی الخوارج منهم، علی أَنَّ النبی صَلَّى اللَّهُ علیه و آله لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعتة الزهراء علیها السلام، و من الأبناء سوى سبطیه و ریحانتيه من الدنيا، و من الأنفس إلَّا أخاه الذی كان منه بمنزلة هارون من موسى.

فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحکم الضرورة التي لا یمكن جحودها، لم یشارکهم فیها أحد من العالمین، كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمین، و بهم خاصة نزلت [۲] لا بسواهم.

فبأهل النبی صَلَّى اللَّهُ علیه و آله بهم خصومه من أهل نجران فبہلهم - و أمهات المؤمنین

رضی اللَّهُ عنہن - كنَّ حینئذ فی حجراته صَلَّى اللَّهُ علیه و آله، فلم يدع واحدة منهن، و هنَّ بمرأى منه و مسمع.

و لم يدع صفيہ و هی شقيقة أبيه و بقیة أهليه، و لا أم هانی ذات الشأن و المکانة و هی کریمه عمه، الفارج لهمه، ذی الأیادی التي هی من المسلمین طوق الهوادی.

و لا دعا غیرها من عقائل الشرف و المجد، و خفرات عمرو العلی و شیبۃ الحمد، و لا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة و غیرهم من المهاجرین و الأنصار.

كما أنه لم يدع مع سيدى شباب أهل الجنة أحدا من أبناء الهاشميين، على أنهم كانوا: «إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنْثُورًا» [١]، و لا دعا أحدا من أبناء الصحابة على كثرتهم، و وفور فضلهم.

و كذلك لم يدع من الأنفس مع على عمه و صنو أبيه العباس بن عبد المطلب، و هو شيخ الهاشميين، و أجود القرشيين، و أعظم الناس [٢] عند رسول الله صلى الله عليه و آله.

بل لم يدع أحدا من كافة عشيرته الأقربين، و لا واحدا من السابقين الأولين - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - و كانوا بمرأى من المباهلة و مسمع، و متددى من أهلها و مجمع، فلم ينتدب واحدا منهم مع من انتدبهم إليها.

بل لم ينتدب أحدا من سائر أهل الأرض بالطول و العرض، و إنما خرج صلى الله عليه و آله - كما نص عليه الرازى فى تفسيره الكبير - و عليه مرط من شعر أسود، و قد احتضن الحسين، و أخذ بيد الحسن، و فاطمة تمشى خلفه، و على خلفها، و هو يقول: «إِذَا أُنَا دَعُوت فَأَمْنُوا».

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو سألو الله أن يزيل جبلا لأزاله بها، فلا تباهلوههم فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة [١].

بخ بخ، إن من وقف على هذه الوهلة العظيمة، و الروعة الشديدة، التى رهقت أعلام نجران، و ممثلى دينها و دنياها [٢] بمجرد أن برز أصحاب الكساء لمباهلتهم، يعلم أن لمحمد و آل محمد صلوات الله و سلامه عليه و عليهم جلاله ربانية تغشى الأبصار، و مهابة روحانية يخفض لها جناح الذل و الصغار.

ألا ترى أولئك الأبطال - و هم ستون فارسا من أسود الشرى و ليوث الوغى - كيف ارتعدت فرائصهم قلقلًا، و انخلعت قلوبهم فرقا، و نادى عظيمهم بما سمعت، هلوعا جزوعا.

و هذا ليس إلّا للجلالة الربانية، و العظمة الروحانية التى أدركها خصمهم من أول نظرة الى وجوههم المباركة، فكأنّ الجلالة و العظمة، و المهابة و الأبهة، و قرب المنزلة من الله، و الكرامة عليهم مكتوبة بنوره تعالى، فى أسارير جبهاتهم الميمونة، و معنونة فى صفحات و جناتهم الكريمة.

و إني لأعجب و الله من لا يقدر هذا المقام قدره. و أنت تعلم أنّ مباہلتہ صلى الله عليه و آله بهم، و التماسہ منهم التأمین على دعائه بمجرده فضل عظیم.

و انتخابہ إياهم لهذه المهمة العظيمة و اختصاصهم بهذا الشأن الكبير و إثارتهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم إليه سابق، و لم يلحقهم فيه لاحق.

و نزول القرآن العزیز آمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث، یزید فضل المباهلة ظهورا، و یضیف الی شرف اختصاصهم بها شرفا و إلى نوره نورا.

و هناك نکتة يعرف کنهها علماء البلاغة، و یقدّر قدرها الراسخون فی العلم العارفون بأسرار القرآن، و هی: أن الآیة الکریمة ظاهرة فی عموم الأبناء و النساء و الأنفس، كما یشهد به علماء البیان، و لا یجهله أحد ممّن عرف أن الجمع المضاف حقيقة فی الاستغراق.

و إنما أطلق هذه العمومات علیهم بالخصوص، تبیاناً لکونهم ممثلی الإسلام، و إعلاناً لکونهم أكمل الأنام، و أذانا بکونهم صفوة العالم، و برهاناً علی أنّهم خیرة الخیرة من بنی آدم، و تنبیهاً الی أن فیهم من الروحانیة الإسلامیة و الإخلاص لله فی العبودیة، ما لیس فی جمیع البریة، و إنّ دعوتهم إلى المباهلة بحکم دعوة الجمیع، و حضورهم خاصّة فیها منزل منزلة حضور الأمّة عامّة، و تأمینهم علی دعائه مغن عن تأمین من عداهم.

و بهذا جاز التجوز بإطلاق تلك العمومات علیهم بالخصوص.

و من غاص علی أسرار الكتاب الحکیم، و تدبره و وقف علی أغراضه، یعلم أن إطلاق هذه العمومات علیهم بالخصوص، إنما هو علی حدّ قول القائل:

لیس علی الله بمستنکر \* \* \* أن یجمع العالم فی واحد [۱]

و لذا قال الزمخشري فی تفسیر الآیة من کشافه: و فیہ دلیل لا شیء أقوى منه علی فضل أصحاب الکساء علیهم السّلام [۲]، اه.

بقیت نکتة یشبّه لها، و حاصلها: أن اختصاص الزهراء من النساء و المرتضى من الأنفس - مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الأبناء - دلیل علی ما ذکرناه من تفضيلهم علیهم السّلام، لأنّ علیا و فاطمة لما لم یکن لهما نظیر فی الأنفس و النساء، کان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما، بخلاف کل من السبطين، فإنّ وجود أحدهما لا یغنی عن وجود الآخر لتکافئهما.

و لذا دعاهما صلی الله علیه و آله جمیعاً، و لو دعا أحدهما دون صנוه، کان ترجيحاً بلا مرجح، و هذا ینافی الحکمة و العدل.

نعم: لو کان ثمة فی الأبناء من یساویهما لدعاه معهما، كما أنه لو کان لعلی نظیر من الأنفس أو لفاطمة من النساء لما حاباهما، عملاً بقاعدة الحکمة و العدل و المساواة.

بقی ممّا دلّت علیه الآیة من خصائص علی علیه السّلام فضل تضمحلّ دونه الخصائص، و تفنی فی جنبه الفضائل و المناقب، ألا هو کونه نفس النبی صلی الله علیه و آله و جاریاً بنص الآیة مجراه، الفضل الذی تعنو له الجباه بخوعاً، و تطاً من لديه المفارق خشوعاً، و یملاً الصدور هیبةً و إجلالاً، و تصاغر دونه الهمم یأساً من بلوغ مداه «ذلک فضلُ الله یؤتیهِ مَنْ یشاءُ وَ الله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ» [۱].

و أنت هداک الله إذا عرفت أنّ الله تبارک و تعالی قد أنزل نفس النبی، و أجزاها فی محکم الذکر مجراها، لا ترتاب حیثنّذ فی أنّه أفضل الأمّة و أولاهما برسول الله صلی الله علیه و آله حیاً و میّتاً.

و قد صرح أولياء أهل البيت، و اعترف أعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره، و الطيب في بينات الفرقان نشره، حتى أن الرازي مع غرامه بنقض المحكمات، و هيامه في التشكيك و الشبهات، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضيله عليه السلام، و إنما ناقش المحمود ابن الحسن، حيث صرح بدلالتها على تفضيله على من كان قبل محمد من الأنبياء عليه و عليهم السلام.

و أليك عبارة الرازي بعين لفظه:

قال [٢]: كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي [٣]، و كان معلّم الاثنى عشرية، و كان يزعم أن عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه و آله.

و استدل على ذلك بقوله تعالى: «و أنفسنا و أنفسكم»، إذ ليس المراد بقوله «و أنفسنا» نفس محمد (ص)، لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها و أجمعوا على أن ذلك الغير كان على بن أبي طالب رضي الله عنه، فدلّت الآية على أن نفس على هي نفس محمد [١]، و لا يمكن أن يكون المراد أن هذه النفس هي عين تلك، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، و ذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة و في حق الفضل بقيام الدلائل على أن محمدا عليه الصلاة و السلام كان نبيا و ما كان على كذلك، و لانعقاد الإجماع على أن محمدا صلى الله عليه و آله كان أفضل من على رضي الله عنه، فبقى فيما وراءه معمولا به.

ثم الإجماع دلّ على أن محمدا عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون على أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام [٢].

فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه، و أمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الإيضاح، و نادى - من حيث لا يقصد - حتى على الفلاح، لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم و حديثهم، و لا ناقشهم فيه بكلمة واحدة، فكأنه أذعن لقولهم، و اعترف بدلالة الآية على رأيهم.

و إنما ناقش المحمود بن الحسن - كما لا يخفى - على أن الإجماع الذي صال به الرازي على المحمود، لا يعرفه المحمود و من يرى رأيه فافهم.<sup>١</sup>

﴿.....﴾ اللهم صل على محمد و آل محمد

<sup>١</sup> كلمه الغراء في تفصيل الزهرا (س)، سيد شرف الدين، ص ۲۵ - ۳۱